

الطبعة الثانية

حقيقة الشيشة

تأصيل وتوثيق من خلال سبعين رسالة اعتقادية
من القرن الثاني لغاية القرن العاشر الهجري

جمع و تحقيق و تقديم

الشيخ محمد رضا الانصاري القمي

٦٥

الواجبات المأكولة

شیخ الإسلام، عز الدين، الحسین بن عبد الصمد الحارثي العاملی

المتوفى سنة ٩٨٤ هـ

❖ يعد مؤلف هذه الرسالة الاعتقادية من طبقة أعلام الإمامية الأجلاء الذين جاهدوا في سبيل نشر العقائد الحقيقة في ایران، فهاجر لأجل ذلك من مسقط رأسه جبل عامل في بدايات النصف الثاني من القرن العاشر الهجري إلى بلاد فارس في أيام الملك شاه طهماسب الصفوي (٩٣٠ - ٩٩٨٤ هـ) ثانی ملوك الصفویین، فأکرم الملك وفادته وأسند إليه منصب الإفتاء و (مشیخة الإسلام) وهو أعلى منصب دینی آنذاك في بلاد فارس، فقام بأعبائه خير قيام لمدة قاربت عقدين، ثم بعثه الملك لإدارة شؤون المسلمين في خراسان فنصبه شیخاً للإسلام في مدينة هرات، وكانت آنذاك عاصمة خراسان الثقافية كما - أنها كانت لعقود طويلة عاصمة دولة التیموریین - فسكنها ثمان سنوات، وبعدها سافر إلى الحج وسكن و هو عائد في البحرين فترة قنفی بها ودفن في قرية المصلى، ولا زال قبره مزاراً يندرک به الناس. وخلف ولدین: الأول بهاء الدين محمد المشتهر بالشیخ البهائی لله، والثانی الشیخ عبد الصمد. وقد تصدی كل

منهما لمشيخة الإسلام بهرات .

يعدّ الشيخ عز الدين حسين فقيهاً بارعاً، ومحدثاً ماهراً، وكفاه فخراً ما وصفه به شيخه الشهيد الثاني عليه السلام (٩١١ - ٩٦٥ هـ) في إجازته بأن: .. الأخ في الله، المصطفى في الأُخْوَة، المختار في الدِّين، والمترقى عن حضيض التقليد إلى أوج اليقين، الشيخ الإمام العالم الأوحد، ذا النفس الطاهرة الزكية، والهمة الباهرة العلية، والأخلاق الظاهرة الإنسانية، عضد الإسلام والمسلمين، عز الدين والدين حسين ابن الشيخ الصالح العالم العامل المتقن المتفنن، خلاصة الأخيار، الشيخ عبد الصمد ابن الشيخ الإمام شمس الدين محمد الشهير بالجبعي العاملی الحارثي الهمدانی...^(١).

تتضمن هذه الرسالة – كما هو الحال في كثير من الرسائل الاعتقادية – مجموعتين من الواجبات: الاعتقادية والعملية، والمشهورتين بالأصول والفرع، ونحن نقتصر على الأولى منها في هذه المجموعة.

وقد اعتمدت في هذا التحقيق على نسخة نفيسة ضمن مجموعة رقمها ٦٢٢ وهي من مقتنيات كتابخانه ملى تبريز (فهرس المكتبة: ج ٢ / ٧١١) وكاتبها الشيخ بهاء الدين محمد العاملی ولد المؤلف، وجاء في آخرها: (تمت الرسالة بعون الله وحسن توفيقه على يد العبد الفقير إلى الله الغني بهاء الدين بن حسين الحارثي، يوم الثلاثاء من شهر شوال من شهور سنة ستة وستين وتسعمائة، حامداً مصلياً مستغفراً له ولوالديه ولمن دعا له بالمغفرة والرحمة والرضوان، والحمد لله وحده وصل على من لانبي بعده)، وقد استنسختها بيدي في المكتبة المذكورة عند زيارتي لمدينة تبريز صيف عام ٤٢٨هـ والحمد لله أولاً وآخراً.



١. راجع: رسائل الشهيد الثاني: ٢ / ١١١٣ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَبِّ يَسِّرْ يَا كَرِيم

الحمدُ للهِ المُتَفَضِّلُ بِالتَّكْلِيفِ الْمُؤْدِي إِلَى أَحْسَنِ الْجَزَاءِ؛ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ، وَعَلَى آلِهِ أَشْرَفِ الْأُولَى، وَعَلَى الْمُخْلَصِينَ مِنْ أَصْحَابِهِ أَهْلِ الْوَفَاءِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيْمًا.

وَبَعْدُ، فَيَقُولُ فَقِيرُ رَحْمَةِ رَبِّهِ الْغَنِيِّ، حُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ الْحَارَثِي عَفَا اللَّهُ عَنْهُ:

هَذِهِ الْوَاجِبَاتُ الْمُلْكِيَّةُ مُشَتَّمَلَةٌ عَلَى جَمِيلٍ مِمَّا يَجُبُ عَلَى كُلِّ مَكْلُوفٍ مِنْ مَعْرِفَتِهِ مِنْ الْوَاجِبَاتِ الْعُلُمِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ، وَضَعَتُهُ تَقْرِبًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؛ فَمَنْ جَهَلَهَا اسْتَحْقَقَ الْعَقَابَ الْعَاجِلَ فَالْآجِلَ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

العلميات:

النَّظَرُ أَوَّلُ الْوَاجِبَاتِ، وَوُجُوبُهُ سَمِيعٌ عَقْلَيٌّ، لِتَوقُّفِ مَعْرِفَةِ الْحَقِّ عَلَيْهِ، وَلِدَفْعِ خَوْفِ الْاِخْتِلَافِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ عَقْلَيًا لَزَمَ إِفْحَامُ الْأَنْبِيَاءِ. فَمَنْ قَصَرَ فِيهِ أَوْ اتَّبَعَ الْهَوَى عُوْقِبٌ؛ وَلَا يَكْفِيهِ تَقْلِيدُ سَلَفِهِ إِجْمَاعًاً، وَلَا إِنَّ الْبَارِيَ قَدْ ذَمَّهُ، وَالْكَثْرَةُ لَا تَدْلِلُ عَلَى الْحَقِّيَّةِ، بَلْ تَدْلِلُ عَلَى الْبَطَلَانِ، لَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ فِي جَمِيعِ الْأُمُّومِ أَقْلَى كَمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ وَالنَّصْ: «إِنَّا نَرَكُبُ سُنْنَةَ مَنْ قَبَلَنَا»، وَالنُّفُوسُ إِلَى الْبَاطِلِ أَمْيَلُ، فَالْحَقُّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ، «فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ؟!»

فَصَلٌ: الْمُوْجُودَاتُ الْمُمُكِنَةُ كُلُّهَا لَابْدَ لَهَا مِنْ مُوجِدٍ، لَامْتِنَاعٍ إِيجادِهَا أَنْفُسُهَا، وَيَجُبُ كَوْنَهُ وَاجِبُ الْوُجُودِ، وَإِلَّا دَارَ أَوْ تَسْلِسَلٌ؛ وَذَلِكُ هوَ اللَّهُ تَعَالَى.

وَكُنْهُ ذَاتِهِ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا هُوَ اتَّفَاقًا. نَعَمْ، نَعْرَفُهُ بِاعتِبَارِ صِفَاتِهِ الْمُتَعَقِّلَةِ :

أَمَّا الشَّبُوتِيَّةُ: فَهِيَ أَنَّهُ حَيٌّ، عَالَمٌ، خَالِقٌ، قَادِرٌ، مُخْتَارٌ لِإِيْقَاعِهِ أَفْعَالَهِ عَلَى نَهْجِ السَّدَادِ بِحَسْبِ اخْتِيَارِهِ وَإِرَادَتِهِ. مَدِرُّ، سَمِيعٌ، بَصِيرٌ، لِلسَّمْعِ، بِسَمْعِنِ عِلْمِهِ

بالمدرّكات والمسّمّعات والمُبصّرات، لامتناع الحواشي عليه. وبكل شيءٍ عليه، وعلى كل شيءٍ قدير، لتساوي نسبة الممكّنات إلى ذاته، مُريدي كاره للسمّع، وأمره ونهيه. غنيٌ، قدِيمٌ، أزليٌ، باقيٌ، أبديٌ، لوجوب وجوده، لأنّ ضد ذلك نقصٌ وهو مُنزَهٌ عن جميع النّقائص، لا قضايّها الافتقار فالإمكان، وهو الغني مطلقاً، متكلّماً، لعموم قدرته والسمّع، بمعنى أنّه يُوجّد الكلام في شيءٍ، لامتناع الحروف والأصوات عليه، لأنّه ليس بجسم.

وكلامه حادث لقوله تعالى: «مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٌ»، وللزوم الكذب في «أَرْسَلْنَا تُوحاً»، والعبيث في «أَقِيمُوا»؛ وكلام الأشاعرة غير معقولٍ. وهو صادقٌ، لقبح الكذب، وغناه عنه.

فصل: وأمّا السلبية: فليس بجسم، ولا جوهِرٌ، ولا عَرَضٌ، ولا مُركّب، ولا في محلٌّ، ولا مُحتاجاً، وإلا لكان مفترقاً ممكناً.

وليس صفاتُه - كالوجود والقدرة والعلم - زائدة على ذاته في الخارج، وإنّ تعدد القدّماء، أو كان مَحَلّاً للحوادث، مُفْعِلاً ممكناً، وإنّما زياستها في التعقل والاعتبار، فباعتبار تعلق ذاته بالعلم مثلاً يُسمى عالماً.

ولمّا أدرك الأشاعرة فساد مذهبهم قالوا: صفاتُه لا هي هو ولا غيره، فازدادوا فضيحةً!

ولا مُصوّراً بصورةٍ، ولا محدوداً بنهايةٍ، ولا ذُو كيّفية، لأنّ ذلك من صفات الأجسام.

ولا شريك له للسمّع، ولا استلزم الشّركة التركيب فالحدث، لا شراكهما في وجوب الوجود، فلا بدّ من مائزٍ.

ولا تُدرِكُه الأ بصار لأنّه ليس بجسمٍ، ولا في جهةٍ.
والأشاعرة خالفوا كل العقلاء؛ وقولهم: ويرى بلا كيف، سفسيطةٌ.

والمراد بالرؤوية في السمع البصيرة.

وليس محلًا للحوادث، لامتناع انفعاله.

ولا يظلم ربك أحداً، لقبح الظلم واستغناه عنه والعقل قاضٍ بقبحه كما يقضي بحسن بعض الأفعال بالإحسان. ولو لم يقض العقل بحسنٍ وقبحٍ لم تثبت نبوة الأنبياء.

ولا يفعل القبيح ولا يریده، لعلمه بقبحه واستغناه.

وليس كمثله شيء.

ولا يُكلّف الله نفسها إلا وسعها.

مقدّمات: الباري جعل لنا قدوةً و اختياراً وبهما ن فعل أفعالنا بالضرورة؛ وإلا امتنع التكليف وبطأ فائدة الرسل والأمر والنهي، وما أتيح أن ينها عن الفعل ثم يخلقُه فينا ويعذبنا عليه، وللفرق بين حركة المرتعش والمختار؛ وهو من أجلى البدويات، ولهذا يعلمه كلّ الحيوانات. والكسب تلبيس بالخرافات.

والباري يفعل لغرضٍ، للنص، ولقبح العَبَث، وليس الغرض الإضرار، لقبحه، بل نفعنا لغناه، «وَ هُوَ الْطَّيِّفُ» كما أخبر.

ونعمه لا تُحصى وشكراً المنعم واجب عقلاً وسماً.

ولهذه المقدّمات أرسل رُسالاً لطفاً منه ليعرفونا لنشكّره بما يليق به، وكلّفنا بالتكليف الحسنة لنؤدي بها شكره وينتظم بها معاشنا ويعرضنا بها للثواب الدائم الذي لا يليق من الحكيم إياصاله لغير مستحقّه.

فصل: النبي هو الإنسان المُخْبِر عن الله بغير واسطة بشرٍ. ولا حصر مُحقّق للأنبياء. وكلّهم معصومون حتى عن الغلط والشهو، وإلا لم يوثق بقولهم فتنتفي فائدتهم؛ والعصمة لطفٌ من الله يحمل على فعل الخير وترك الشر مع بقاء الاختيار.

ومنزّهون عن دناءة الآباء والأمهات وجميع الرذائل لطفاً من الله لئلا يسقط

محلّهم. ولهم الشفاعة لأهل الكبائر، للنّصّ.

ونبيّنا محمد بن عبد الله، أفضّلهم، للنّصّ. وهو نبيّ صادق لظهور المعجزات، كالقرآن للبلاغته وأسلوبه ، وتسبيح الحصى ، وانشقاق القمر، وليس هذا فعل البشر، فلو كان كاذباً وصّدّقه الباري كان إغراً بالقبيح واتّباع الكاذب ، وهو قبيح. ومِعْرَاجُهُ بِشَخْصِهِ إِلَى السَّمَاوَاتِ ثُمَّ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ؛ جَاءَ بِهِ التَّقْلِيلُ.

وكذا كرامات الأولياء، وهي معاجِزُ أنبيائهم.

الإمامـة: هي رياـسـة عـامـة في أمـور الدـين والـدـنيـا، وهي لـطـفـ من الله تعالى، لاـقـضـاءـ الـحـكـمـةـ موـتـ النـبـيـ فـلـاـ يـدـ منـ حـافـظـ لـشـرـعـهـ ذـيـ بـسـطـةـ فيـ العـلـمـ وـالـجـسـمـ، يـُصـفـ المـظـلـومـ منـ ظـالـمـهـ، وـلاـ يـتـبـعـ الـهـوـيـ؛ فـيـجـبـ أـنـ يـكـونـ مـعـصـومـاـ وـإـلـاـ لـمـ يـؤـمـنـ مـنـهـ الزـيـادـةـ وـالـقـصـانـ وـلـوـ غـلـطاـ، أـوـ اـتـبـاعـ الـهـوـيـ، فـيـجـبـ الـإـنـكـارـ عـلـيـهـ وـيـسـقطـ مـحـلـهـ، فـتـحـتـاجـ إـلـىـ آـخـرـ وـيـتـسـلـلـ، وـرـبـمـاـ لـاـ يـقـدـرـ عـلـىـ الـإـنـكـارـ لـسـطـوـتـهـ فـيـتـمـادـيـ فـيـ غـيـيـهـ وـيـظـهـرـ الـفـسـادـ كـمـاـ وـقـعـ، وـلـقـولـهـ تـعـالـىـ: «لـاـ يـنـالـ عـهـدـيـ الـظـالـمـينـ»، وـ«أـطـيـعـواـ اللـهـ وـأـطـيـعـواـ الرـسـوـلـ وـأـوـلـيـ الـأـمـرـ مـنـكـمـ» وـطـاعـتـهـمـاـ تـجـبـ فـيـ جـمـيعـ الـأـشـيـاءـ فـكـذـاـ طـاعـتـهـ، وـغـيـرـ الـمـعـصـومـ قـدـ يـأـمـرـ بـالـفـحـشـاءـ بـلـ وـقـعـ، فـيـكـونـ اللـهـ آـمـرـاـ بـهـاـ وـالـلـهـ لـاـ يـأـمـرـ بـالـفـحـشـاءـ.

وـإـذـاـ وـجـبـتـ الـعـصـمـةـ وـجـبـ كـوـنـهـ مـنـصـوـصـاـ عـلـيـهـ لـخـفـائـهـ.

والـخـلـيـفـةـ بـعـدـ النـبـيـ أـخـوـهـ عـلـيـ، لـقـولـهـ تـعـالـىـ: «إـنـمـاـ وـلـيـكـمـ اللـهـ وـرـسـوـلـهـ وـالـذـيـنـ آـمـنـواـ» أـجـمـعـ الـكـلـ أـنـ الـمـرـادـ بـهـ عـلـيـ؛ فـتـبـتـ لـهـ مـنـ الـوـلـاـيـةـ مـاـ ثـبـتـ اللـهـ وـرـسـوـلـهـ، وـلـقـولـهـ عـلـيـهـ: «لـاـ يـنـبـغـيـ أـنـ أـذـهـبـ إـلـاـ وـأـنـتـ خـلـيـفـتـيـ»، وـلـقـولـهـ عـلـيـهـ: «مـنـ يـؤـازـرـنـيـ وـيـكـونـ وـصـيـيـ بـعـدـيـ وـخـلـيـفـتـيـ؟ـ فـقـالـ عـلـيـ:ـ أـنـاـ.ـ فـقـالـ:ـ أـنـتـ».ـ روـاهـماـ أـحـمـدـ بـنـ حـنـبلـ فـيـ مـسـنـدـهـ.

وـلـقـولـهـ عـلـيـهـ: «أـنـتـ مـنـيـ بـمـنـزـلـةـ هـارـونـ مـنـ مـوـسـىـ إـلـاـ أـنـهـ لـاـ نـبـيـ بـعـدـيـ»ـ.ـ روـاهـ أـحـمـدـ

ابن حنبل في مسنده ومسلم في صحيحه ورواه [صاحب] «الجمع بين الصّحاح السّتّ» بطرّق متعددٍ، والإِستثناء يدلّ على أنَّ كُلّ ما كان للنبيّ فهو له إِلا النبوة.

وقوله ﷺ: «من كنْتُ مولاً فعليّ مولاً» وهو متواترٌ.

وأمثالها كثير ، والتأویلات تلبیسٌ من المُعاندين على الجاهلين.

ولأننا شرطنا العصمة، وغيره ليس معصوماً إِجماعاً.

ولأنه أعلم لقوله ﷺ: «أقضاكم عليّ» و«أنا مدينة العلم وعلىّ يابها»، وأقرب وأزهد وأشجع كما لا يخفى، فيكون أفضل.

ولقبح تقديم المفضولين الذين وقع منهم المعاشي اتفاقاً.

ولهذا تأولوها بتعسفاتٍ تصغر عن النّقل ويحكمُ بفسادها كُلّ ذي عقل.

ثم الحسن، ثم الحسين، ثم عليّ، ثم محمد، ثم جعفر، ثم موسى، ثم عليّ، ثم محمد، ثم عليّ، ثم الحسن، ثم المهدي الثابت ظهوره بالنص والإجماع وأن عيسى يقتدي به. واختفاوه إِماماً خوفاً، [أو] حِكْمَةٌ خفية.

ولابعد في طول عمره كالخضر وعيسي.

وهذا الترتيب يجب اعتقاده لنص كلّ على لاحقه نصاً متواتراً عند شيعتهم؛ ولا يقدح فيه أنَّ غيرهم لم ينقلوه لمخالفته معتقداتهم لشبيهاتِ القاتل أوائهم.

فصل: لا نسبُ كُلّ الصحابة، بل نسبُ أعداء أهل البيت، ونتقرّبُ إلى الله بحب الحافظين وصيّة الله ورسوله فيهم، ونسكتُ عن المجهول حالهم ونكِلُ أمرهم إلى الله تعالى.

ونحملُ كلام الله تعالى وكلام رسوله وأهل بيته على ظاهره ما لم يقُم دليلاً قاطعاً على خلافه.

والعدولُ عن ظاهره بغير دليلٍ -ك فعل الباطنية -، إِلحادٌ.

ونحلّل المُتّعة ونُوجّب مسح الرّجلين لنص القرآن، والنّسخ لم يثبتُ عند أهل

البيت، فكيف عندنا!

ونمنع المسح على الخفين، لعدم الدليل عليه ولأنّ أهل البيت لم يقولوا به.
ولا نقول إلا بقولهم، للاتفاق على عدالتهم وغزاره علمهم، ولنص القرآن
بطهارتهم، ولما صح في «مسند أحمد بن حنبل» و«صحيح مسلم» و«الجمع بين
الصحاب ست» من قوله عليه السلام: «إني مختلف فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتابا
الله وعترتي أهل بيتي»، ولم يقل: كتاب الله وأبا حنيفة! ولا كتاب الله والشافعي!
ولا طهّر هما!؛ فتمسكنا بمن طهّرهم الله وأمرنا الرسول بالتمسك بهم ﴿وَمَا يُنطِقُ
عَنْ خَطَاوْهُمُ الْهَوَى﴾ -، فأ Minta دون غيرهم.

ثم وإن لم يكونوا معصومين فهم مجتهدون - كما يقولون - فتقليدنا لهم جائز
إجماعاً، فيلزم أن تكون نحن الفرقة الناجية إجماعاً.

خاتمة: الإيمان الشرعي [هو] ، التصديق بالقلب والإقرار باللسان بما جاء
به النبي ،

ولا دخل للأعمال فيه. ويقبل الشدة والضعف. والكبيرة لا تخرج منه ولا يخلد
فاعلها في النار للنصل.

والكفر إنكار ما علّم ضرورةً مجيء الرسول به كتعظيم أهل البيت ، فيكفر
محاربهم والمستخف بحرمتهم.

والفسق: الخروج عن الطاعة فيما دون الكفر.

والنفاق: إظهار الإيمان وإبطان الكفر.

والعالّم يمكن عدّمه بل يعدّم، ويجوز إيجاد مثله، للنص وإمكان ذلك.

والمعاد البداني حق، لأنّه ممكّن القرآن والرسول أخبرا به.

وكذا عذاب القبر وتنعيمه وسؤال منكري ونكير الصراط والميزان والجنة والنار
وتفاصيل ما أخبرنا به هناك.

والدُّعاء للأموات و فعل الخير عنهم يَفْعَلُهم، للنّقل.

و تجب التّوبَةُ، للنّص و وجوب دفع الضّرر؛ وهي النّدَم على المعصية والعَزْمُ على عدم المعاودة إن كانت عن ظُلم النّفس ، وإن كانت عن ظُلم العباد اشتراطت بالخروج عن حقوقهم كما قُرِرَ، أو عن إضلالٍ في إرشاد الضالِّ إن أمكن، أو عن ترك واجبٍ بقضائه كما قُرِرَ، أو عن غِيبةٍ وبالاعتذار إلى المُغتاب إن بلغته دفعةً لغمه وإلا استغفر له. وتصح عن بعض دون بعض . والله تعالى يقبل التّوبَة عن عباده ويعفو عن السِّيئات ويُحبّ التّوابين.

والنّصُ والإجماعُ على وجوب الأمر بالمعروف الواجب والنهي عن المنكر وإنكاره بعد العلم بهما وتجويز التأثير والأمن من الضّرر وجوباً كفائيَاً بالقلب، فاللسان، فاليد.

ويستحبُّ الأمر والنهي إذا كان متعلقاً بهما مُستحبَاً أو مكروراً بالشرائط.
نصيحة: لم يُخلُّك الباري عَنِّيَا ولا أرسلك كالبهائم هَمَلاً، ولهذا كفلك؛ وأعُزُّ الأشياء عندك نفسك، وهي أمارةٌ بالسوء، فإن مكتتها من جميع ما تشتهي هَلَكت، وكفى بذلك خُسْراناً؛ فيجب تذكيرها قصر العُمر وفناء الجسد، وأنك في كُلِّ آنٍ وساعةٍ في تَقْصِي وسَبِّي إلى الفناء القريب المُحَقَّق، فيجب منعها عن القبائح والمظالم وتهذيبها بالفَكْر والمواعظ، لتجتهد في الطاعات ومحاسن الأخلاق وتستعين عليها بالقرآن وأحاديث أهل البيت ومواعظهم البليغة، فإن فيها شفاء من كل داء لتسعد السعادة الأبديّة ، ولا يكون عمرك وبالاً عليك فتنق في الشّقاوة السرمدية ، أَجَارَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ ذَلِكِ!

العملياتُ: أفضلها الصلاة.....

